خلاصات تعليمية

مؤسسة حمدان بن راشد آل مكتوم
للأداء التعليمي المتميز
Hamdan Bin Rashid Al Maktoum Foundation
for Distinguished Academic Performance

عام زايد
YEAR OF ZAYED

القواعد الأساسية لبناء الفصل الدراسي
بناء المثابرة على التميز في طلاب اليوم

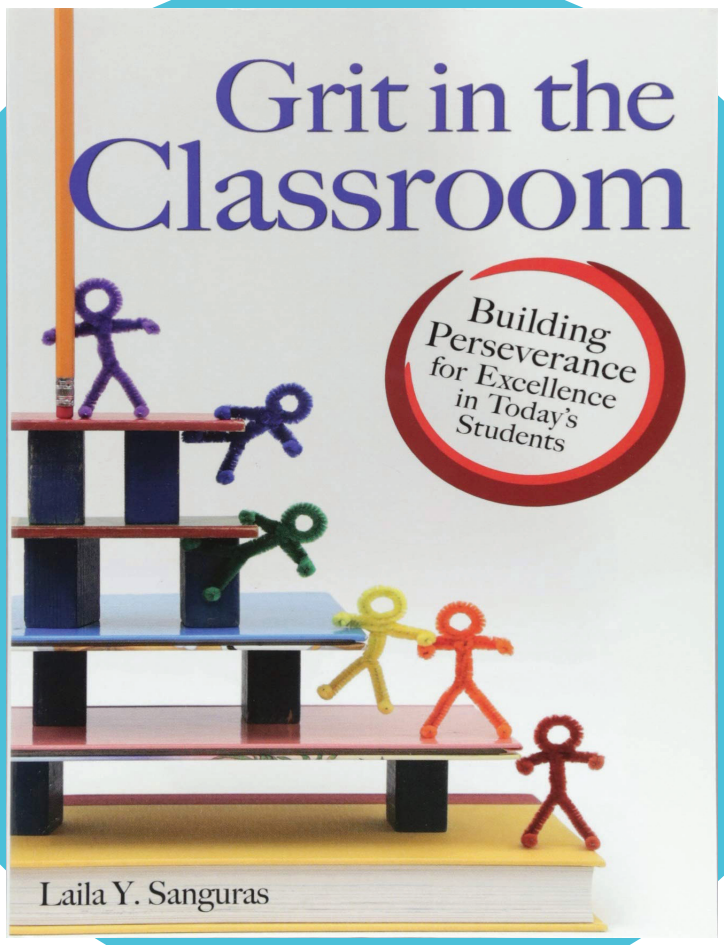

بقلم
د. ليلي سانجراس

العدد
7
أكتوبر 2018

إن كتاب «(العزيمة مهارة اجتماعية.. في الفصول الدراسية: المثابرة طريق الطالب المتميز في العصر الحالي)»، للدكتورة ليلي سانجراس، من الكتب المهمَّة للغاية في رأيي، فالكتاب يناقش من واقع الخبرة العملية لكاتبته جانبًا جديدًا من المهارات الاجتماعية التي تحتاج إليها المدارس والفصول الدراسية في الوقت الحالي، لا سيما أننا نعيش في عالم يتطور سريعًا فيحتّم مواكبة ذلك التطور في تطبيق المفاهيم الجديدة بجميع المجالات، وعلى رأسها التعليم.

هذا الكتاب يقدم خلاصة تجربة فريدة للكاتبة ليلي سانجراس، وكيف أنها تركت التدريس وتفرَّغت لإكمال دراستها، واهتمَّت بتطوير التعليم، وقدَّمت جهدًا استشاريًا ضخمًا من أجل تطوير التعليم والمعلم، ويثير الكتاب عددًا من المفاهيم التي تساعد على تحقيق النجاح في مختلف المجالات، ومنها العزيمة والثبات والمثابرة، والتي يؤدي تبنّيها وفق وعي تام إلى تحقيق إنجازات عظيمة على المستوى الفردي والمؤسسي، ولا سيما في مجال التعليم.

والمثير للاهتمام أن موضوع هذا الكتاب ينسجم مع توجهات الدولة في مشروع تطوير التعليم، أشير في هذا السياق إلي المحاضرة التي استضافها صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان، ولي عهد أبوظبي ونائب القائد الأعلي للقوات المسلحة في مجلس البطين وألقتها الدكتورة أنجيلا داكورث أستاذة علم النفس في جامعة بنسلفانيا بعنوان « العزيمة الصادقة: الإلهام الحقيقي في علم النجاح ».

أرى أن الاستفادة من هذا الكتاب الشائق والممتع في المقرَّرات والمناهج التربوية في الجامعات والمدارس وفي الدورات التعليمية سيكون مفيدًا للغاية في تعزيز دور المعلم، لا سيما أن مفاهيم مثل العزيمة والمثابرة والشغف والعقلية يجب أن تلقى اهتمامًا أكثر من جانبنا، للإسهام في تطوير التعليم والفصول الدراسية خاصة، حتى نصل إلى بناء جيل من النشء القادرين على مواجهة التحديات، ويتميزون في الوقت نفسه بصحة نفسية وقدرات سلوكية ومهارات اجتماعية مميزة تتماشى مع متطلبات العصر الحالي، بالإضافة إلى تأهيل معلمين قادرين على تقديم الجانبين التعليمي والنفسي بما يخدم مصلحة أطفالنا، جيل المستقبل، وأفراد المجتمع ككل.

الدكتور جمال المهيري
الأمين العام

تحليل مفهوم العزيمة

تعرّف ليلي سانجراس العزيمة بطرحها تساؤلاً مهمًّا: «لماذا لا يرغب الطلاب في إنجاز الفروض المدرسية، ولماذا لا أستطيع تحفيزهم؟». لم يكن لديها شك في أهمية رسالتها التعليمية، ولكنها كانت تواجه بعض الصعوبات في محاولة جذب انتباه بعض طلابها وتحفيزهم للانخراط بفاعلية في التعلم، ولقد جربت كل ما يمكنها أن تفكر فيه، ولكنها على الرغم من ذلك لم تحقق سوى القليل من النجاح.

بعد سنوات حضرت سانجراس اجتماعًا للموظفين في إحدى ضواحي تكساس، حيث عُرضت الكلمة التي ألقتها أنجيلا داكوورث حول العزيمة، أثناء حوارات تيد في 2013.

وعلى الرغم من التميز الذي بدا في قياس الإنجاز، فقد أكدت الحاجة إلى النظر في مفهوم العزيمة وكيفية تقييمها وتحسينها لدى الطلاب إذا كان هناك هدف حقيقي بالفعل لبناء قدراتهم على التحمل وزيادة احتمالات نجاحهم في المدرسة وخارجها.

وتضيف سانجراس: «حديث أنجيلا داكوورث كان ملهمًا للغاية، فقد كانت أفكارها منطقية ومقدَّرة بالنسبة إليَّ كمعلمة، وفي الوقت نفسه كانت تعتمد على الأبحاث، وهو ما كان جيدًا من وجهة نظري كإخصائية نفسية معنيَّة بمجال التربية والتعليم. كنت أرغب في بذل المزيد من الجهد لإلهام المعلمين الآخرين بالطريقة التي ألهمني بها حديث أنجيلا داكوورث الذي سمعته أثناء اجتماع الموظفين الذي أشرت إليه».

الفضول أولى خطوات العزيمة:

كم تؤثر المهارات الاجتماعية عظيم الأثر عندما تطبَّق في الفصول الدراسية، وكذلك تؤثر المهارات الفردية أو ما يعرف بالمواهب في تحديد مستويات النجاح بين الأشخاص، مما يجعل من الأهمية بمكان إدراك أهمية تطوير ما يعرف بالفضول لدى الأطفال، حتى تنتج عنه العزيمة، فالفضول بوابة المعرفة الأولى، لا سيما لدى الطفل، فالاهتمامات المبكرة تعد انعكاسات طبيعية لما سيكون عليه الأبناء في المستقبل، فيجب ألا نحارب فضول الأطفال، أو نعمل على تقنين ذلك الفضول أو تجاهله، لأنه بذرة بناء العزيمة بداخله.

كيفية قياس العزيمة:

ينبغي دراسة الطرق التي يمكن للمدرسين من خلالها دعم الطلاب لتطوير العزيمة لديهم. والتركيز على كيفية اكتساب الطلاب الموهوبين مهارات العزيمة، خاصة فيما يتعلق بتطوير صفوة الموهوبين، وما يمكن أن تتعلّمه جميع الفصول الدراسية من مجال تعليم الموهوبين.

الدمج بين مفهوم العزيمة وأبحاث عقلية النمو:

كيف يمكن للمعلمين استخدام النظريات في العمل مع الطلاب؟ وكيف يتمكّنون من غرس الشغف في طلابهم؟ نجد بين دفتي هذا الكتاب دليلاً لكيفية العمل المشترك بين المعلمين وأولياء الأمور لضمان اتباع منهج موحَّد لإكساب الطلاب مهارات العزيمة وصقلها لديهم، كما ندرك مفهوم العزيمة على مستوى المدرسة وكيف يمكن للإداريين والمعلمين العمل معًا لنشر ثقافة العزيمة داخل المدرسة.

الانضباط الذاتي والسعادة

بالنظر إلى أعمار الطلاب، فقد يشير ذلك إلى الأوقات التي يعمل فيها الطلاب بشكل مستقل أو كيفية انتقالهم من نشاط إلى آخر. قد تكون المكافأة التي تقدمها عبارة عن ملصق بسيط أو كلمة شكر أو منحهم راحة إضافية. ووجد الباحثون أن الأشخاص الذين يتمتعون بقدرة أكبر على التحكم الذاتي ليسوا أكثر سعادة فحسب، بل يكونون الأكثر سعادة على الإطلاق في اللحظة التي يحقّقون فيها الانضباط الذاتي.

المثابرة المستدامة

يرتبط الحديث عن العزيمة، بالدكتورة أنجيلا داكوورث، فقد جعلت هذا المصطلح شغلها الشاغل، وتعريفها للعزيمة أنها المثابرة المستدامة مقترنة بالشغف الشديد. وفي هذا الإطار نجد أن العزيمة ترتبط بمفاهيم أخرى مثل الانضباط الذاتي الذي يشير إلى إمكانية السيطرة على الاندفاع وراء رغبة ما للتغلُّب على مواطن الضعف.

وعلى الرغم من أن القدرة على التحكم في رغباتنا غير المحسوبة تتحسَّن مع التقدم في العمر، فهي ترتبط بالتأكيد بالنضج والمزاج والعوامل الوراثية، وقطعًا سيفكر المعلمون أن مثل هذه السمات لا يمكن التحكُّم فيها لدى الطلاب. ومن الأساليب التي قد تكون مفيدة في هذا الشأن تقدير الطلاب الذين يبلون بلاءً حسنًا فيما يتعلَّق بالانضباط الذاتي.

ماذا يعني قياس درجة اكتساب العزيمة بالنسبة إليك؟

لم تتمكن أنجيلا داكوورث وزملاؤها من إيجاد أداة لقياس درجة اكتساب العزيمة على نحوٍ ملائم، لذلك قاموا بتطوير مقياس العزيمة. ونشرت داكوورث في كتابها «العزيمة.. قوة الشغف والمثابرة»، مقياسًا للعزيمة من عشر نقاط. وتستخدم النتائج لحساب درجة اكتساب العزيمة، التي يمكن أن تتغيَّر من وقت إلى آخر ومن ظروف إلى أخرى.

قياس درجة اكتساب العزيمة:

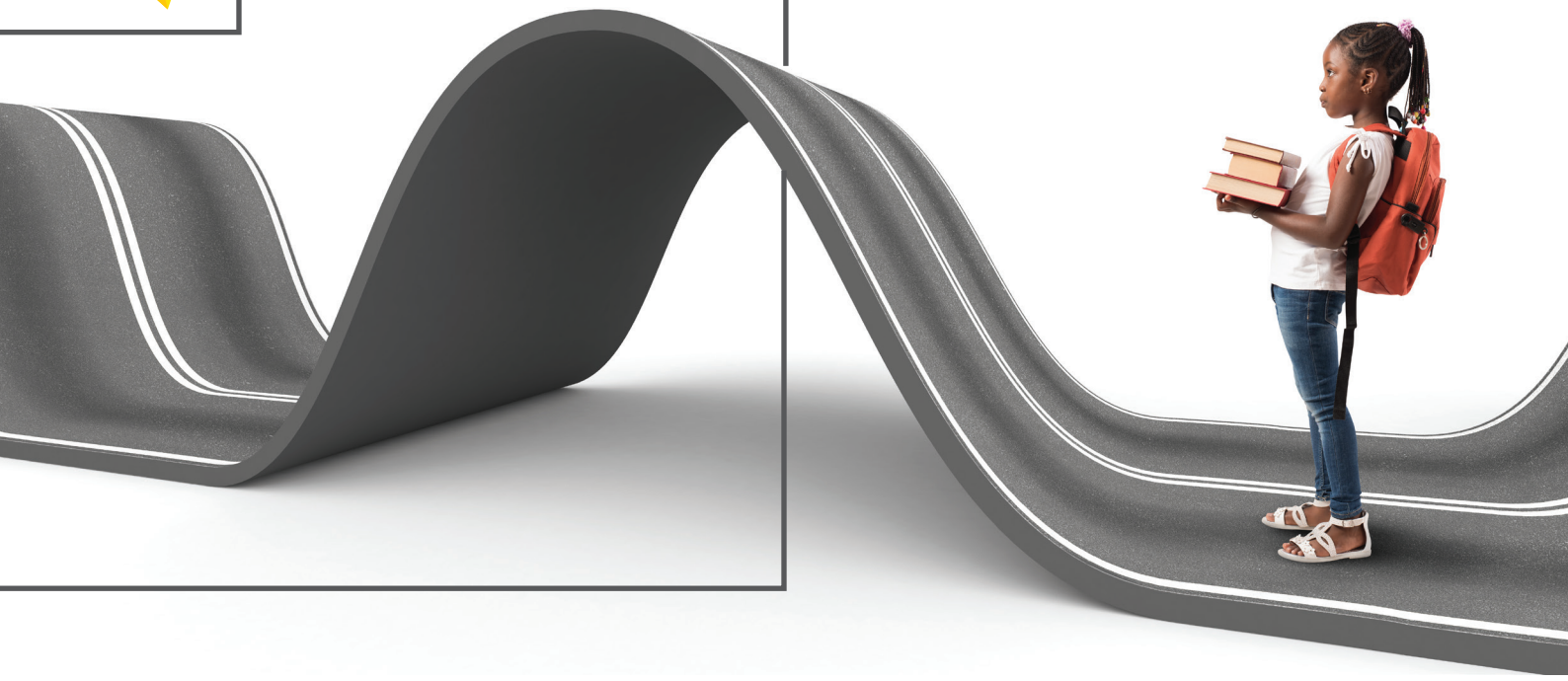

قياس الشغف

من المثير للاهتمام أن العناصر التي تقيس الشغف لا تبحث في شأن العواطف التي نرى أنها تتعلّق بالشغف: الإثارة، والانبهار، والتوق الشديد، وبدلاً من ذلك تشير نقاط القياس إلى صرف الانتباه بفعل الأفكار الجديدة والحفاظ على التركيز. وتقول داكوورث في هذا الشأن: «من السهل أن تكون متحمسًا لشيء ما، ولكن الحفاظ على هذا الحماس يبقى الجزء الأصعب، مرآب منزلنا مليء بالمعدّات والأدوات الرياضية التي لم يستخدمها أطفالي مطلقًا، إذ يعود ابني إلى المنزل من المخيم أو منزل أحد الأصدقاء متحمسًا بشكل فائق لممارسة رياضة جديدة، ومن ثم نجلب بعض المعدات ونلحقه بفريق لممارسة هذه الرياضة، ومع أنه لم يكن يشتكي أبدًا من الذهاب إلى ممارسة التمارين الرياضية وكان يقدم كل ما لديه في كل مباراة، ولكنني أستطيع أن أقول إن هذا «الشغف» لم يستمر في معظم الحالات. وفي الأوقات الأخرى غير أوقات التدريب أو المباريات، كان يختار ركوب دراجته أو ممارسة ألعاب الفيديو أو رياضة أخرى تمامًا. وعلى الرغم من أنه استمتع بهذه الرياضة، فلم يكن شغوفًا بها بالقدر الكافي. وبالمناسبة: يبلغ طفلي 9 سنوات فقط، ولم يعثر على شغفه حتى الآن».

العزيمة أن تفعل ما تحب، وألا تكتفي بالحب والرغبة فقط، تحكي ليلي سانجراس تجربتها عندما التحقت ببرنامج الحصول على الدكتوراه في جامعة نورث تكساس: «اخترت أكثر التخصصات صعوبة في مجال التعليم، حيث شعرت أنني قد عملت في التدريس لسنوات عديدة في ظل الحد الأدنى من التحديات، ففكرت بأنني إذا أردت أن أكمل دراستي فيجب أن أختار تخصصًا يمثل تحديًا بالنسبة إليَّ، ويجعلني أشعر بالفخر بعد نجاحي في التغلب على هذا التحدي. لقد اخترت تخصص الأبحاث والقياس والإحصاءات وانغمست في دراسته، ولقد كان الأمر صعبًا ومُقلقًا للغاية، لكنني ثابرت. ولا يقتصر الأمر على ذلك فقط، فلديَّ احترام كبير لنظرية القياس وكيف يمكن للأدوات توفير المعلومات المطلوبة لممارسات التدريس».

تطور العزيمة

واعتمادًا على المهام التي تنتظرك، فقد تشعر بالالتزام والتركيز في وقت واحد، ومن ثم الاستعداد للانتقال إلى شيء آخر قد يكون مثيرًا للاهتمام في وقت آخر. بالإضافة إلى ذلك، ومثلما هو الحال بالنسبة إلى تطور الدماغ، تتطوَّر العزيمة لدينا وفق مستوى واحد للنضج، ويمكننا أن نلمس ذلك من خلال النظر إلى مساحة اهتمام الأطفال واتساعها مع تقدمهم في العمر، حيث يصبحون أكثر قدرة على التركيز لفترات أطول من الوقت.

تعليم الموهوبين وإدارة المواهب

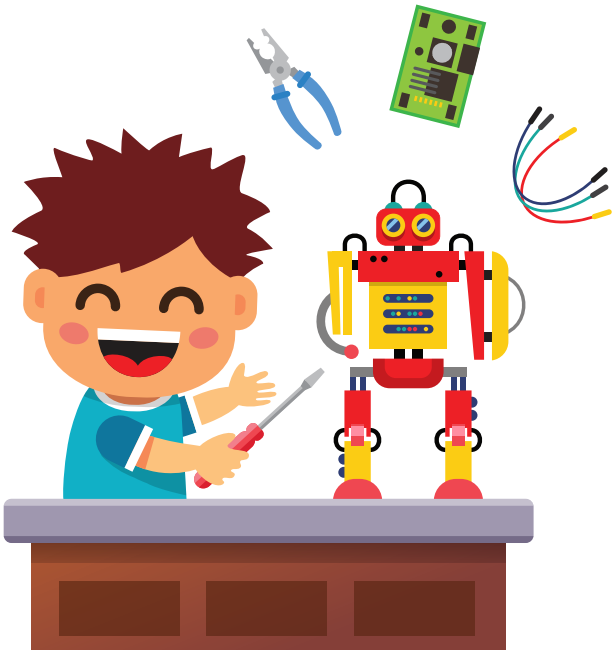

قد يقوم المعلم بتدريس فنون اللغة في معظم مسيرته المهنية، وهو لا يعرف الكثير عن كيف، أو متى يتم تحديد موهبة هؤلاء الطلاب، كما أنه لا يعرف ما إذا كانوا موهوبين في تخصصه أم لا، فالمعلم المتميز لا يزعجه هذا الأمر على الإطلاق، لأنه يدرك أن شيئًا آخر كان يؤثر على أدائهم في الصف، ويدرك أيضًا أنهم سيهتمون بالقراءة والكتابة والتحدُّث بصرف النظر عن قدراتهم.

وحينها يمكن التوصل إلى أن مهمته ينبغي أن ترتكز على بث روح الشغف في الحصص الدراسية حتى يمكن تحفيز تفتُّح العقول وإطلاق شرارة الأفكار، فعندما يهتم كثيرًا بطلابه ويكترث لهم ويساندهم كما لو كان المسؤول الأول عنهم، سيعرف أن هؤلاء الأطفال يحتاجون إلى شيء مختلف عما يتم تقديمه في الحصص الدراسية وحتى الدورات التدريبية الخارجية.

ضرورة تطبيق مفهوم العزيمة على بعض نماذج تعليم الموهوبين

كشفت بولا أولزفسكي، الكاتبة ومديرة مركز تطوير المواهب في جامعة نورث ويسترن، عن تعريف جديد لما يعنيه أن تكون موهوبًا، وحتى ذلك الوقت كان ينظر إلى الموهبة باعتبارها شيئًا تولد به، ويُعد بمثابة سمة ثابتة تؤدي إلى اكتساب نوع من الاستثناء والتميز، كما تم وصف الموهبة بأنها تنطوي على إمكانات تؤدي إلى التميز، وكان من الصعب شرح ما يعنيه أن تكون موهوبًا، مما يجعل من المستحيل قياسه بدقة. وعلى الرغم من صعوبة ذلك، فهذا ما تم فعله لسنوات، فلم يكن هذا الأمر معروفًا في ذلك الوقت، ولكن عام 2011 كان عامًا مهمًا بالنسبة إلى تعليم الموهوبين.

ألقت بولا أولزفسكي خطابًا أمام حضور مؤتمر الاتحاد الوطني للأطفال الموهوبين لعام 2011 ركّزت فيه على هذا التحوّل في كيفية إدراك الموهبة، ومن المحتمل أنّك لا تقدّر هذه اللحظة التحوُّلية، لذا فلتذكر كم يكون المعلم شغوفًا بتعليم الطلاب الموهوبين. فإذا أحبهم سيأخذ على عاتقه حمايتهم، ودعمهم لأداء أفضل ما لديهم، ولن يقترح أبدًا إبعاد أحدهم عن صفه.

هل يكفي أن تحب طلابك حبًّا شديدًا لتستطيع أن تقول إنك قد فعلت لهم شيئًا؟ يرى بعض الباحثين أن استخدام الحيل وما يفرضه العقل والمنطق هو تعريف العزيمة الذي نحتاج إليه حاليًا، ولكن هذا الكلام يفتقر إلى الدقة والموضوعية، فالعزيمة التي نستطيع غرسها في نفوس طلابنا هي ما نفعل وليس ما نقول.

تطوير الموهبة

التمييز بين الأشخاص الموهوبين وغير الموهوبين ليس من الأعمال الصعبة، فالمهم في الأمر الإيمان بأهمية تبني نهج التوجيه لتطوير الموهبة، أي أننا يجب أن نبدأ بمجموعة كبيرة من الأفراد الذين يثبتون إمكاناتهم ثم يتم توجيههم لإنجاز أعمال عظيمة.

ماذا لو قضى الأشخاص وقتًا أقل في تحديد الموهوبين واكتشافهم وتخصيص الوقت الأكبر لتعظيم وتحسين إمكانيات الطلاب الموهوبين؟ مفهوم أننا في النظام التعليمي، نحتاج إلى إجراءات موضوعية لتحديد الأشخاص المؤهلين للاستفادة من برامج الموهوبين، لكننا لسنا بحاجة إلى الاستسلام للقيود المترتبة على الأساليب المعيارية المطبقة.

العزيمة كأسلوب حياة

الشخص الذي يتبنّى العزيمة كأسلوب سيسعى على الأرجح إلى المثابرة من خلال بذله للعطاء والكفاح. نحن نعلم أنه بالإضافة إلى الشغف الذي يقود المرء إلى السعي لتحقيق هدف ما، يعد الدافع مهمًا أيضًا.

وعطفًا على ذلك، تتعلّق العزيمة بالفرق بين الشخص الذي يستسلم والشخص الذي يستمر؟ ربما، لكن ذلك قد يعود إلى عقلية الشخص وتفكيره.

لقد أوضحت كارول دويك في معرض تعميق الفهم لنظرية العقلية وطريقة التفكير، أن العقلية هي طريقة تعاملنا مع الأهداف والتحديات، والعقلية مجرد خيار، ويمكننا أن نحدد هل نمتلك عقلية ثابتة أم قابلة للنمو؟ فالأمر يحتاج إلى تدريب ونحن نستطيع أن ندرب أطفالنا على اختيار العقلية النموذجية لتحقيق النجاح.

وعلى النقيض من ذلك، تعد العقلية الثابتة ذات نمط تفكير جامد ومتحجر. الأمر يتعلق باعتقاد أنك تملك موهبة أم لا، فقد تكون موهبة في لعب كرة القدم أو الطهي. والشخص الذي يملك عقلية ثابتة يعتقد أن الإنسان يولد موهوبًا ولا يحتاج إلى أي تدريب أو ممارسة. ويتعلم كثير من الطلاب بهذه العقلية، وقد يسأل الطلاب معلميهم عن مستواهم الدراسي، أو جودة خطوطهم، فيخبرهم المعلمون كم أنهم طلابٌ سيئون، وخطوطهم بشعة، فيؤصلون لديهم كراهية الكتابة وربما التعليم برمّته. قد يندم أمثال ذلك المعلم حين لا ينفع الندم! فقد يقتل موهبة حقة ويغير مصير إنسان.

الدمج بين مفاهيم العزيمة وطريقة التفكير والتحفيز

يمكنك فعل أي شيء إذا ركزت فكرك عليه، بالطبع هذا الكلام رائع ويمكن تقديره من وجهة نظر تفاؤلية، لكنه ليس صحيحًا على الإطلاق.

حسنًا، يجب تحري الصدق حين يمد المعلم طلابه بالمعلومات والخبرات الحياتية، وكذلك الانضباط في استخدام مفردات العقلية وطريقة التفكير، فكثيرًا ما تتردد تلك الكلمات دون أن يقصد بها معنى حقيقي.

هناك حدود لما يمكن الوصول إليه وتحقيقه، وقد تجد أن من المقلق في بعض الأحيان تفسير النظرية بما لا تقصده.

لذلك، قد تحتاج من يساعدك على فهم نظرية العقلية بالفعل، بالإضافة إلى التوجيه نحو الأهداف وكيف يمكن أن يؤثر ذلك على التحفيز، بل وأكثر من ذلك، تقديم أفكار حول كيفية بناء القدرات لدى الطلاب سعيًا للوصول إلى مرحلة الإتقان واكتساب العزيمة في نهاية المطاف.

في هذه المرحلة من حياتك، من المفترض أن تفهم أن الكفاح والفشل من التجارب الطبيعية التي نعيشها أثناء سعينا للتميز.

إن قدرات الطلاب ستخلق آلافًا من الفرص لتغيير عقليتهم، لكن هذا لا يمنع أننا ينبغي أن نغرس في دواخلهم الاجتهاد في معالجة سلبياتهم وبالتالي تغيير آرائهم عن أنفسهم، وهذا ما يتجلّى بوضوح في دعم الطلاب الذين يعانون من العقلية الثابتة، ويحتاجون إلى المساندة حتى يستطيعوا معالجتها باكتسابهم العزيمة والمرونة.

صقل وتشجيع الطلاب الشغوفين

كثيرة هي الأشياء التي تثير شغفك، ولكنك قد تجد صعوبة في تحديد أهم ثلاثة منها، وبخاصة لو كنت في حفل عشاء، أو في اجتماع عمومي، لكنك حين تفكر بهدوء ستوقن أن التفضيلات بالنسبة إلى الشغف تتغيّر بسرعة لا محدودة، ولا يمكن الاحتفاظ بثلاثة من الاهتمامات على رأس القائمة لأكثر من دقائق، فالأمر أشبه بموضوع يرى الجميع أنهم خبراء فيه، ولكن الحقيقة أن لا أحد يعرف شيئًا.

انتظر برهة وفكر في شيء يحتاج إلى بذل كثير من الجهد لإنجازه، وبالطبع قدر ما من الشغف، ويمكنك أن تصف مثل هذا الإنجاز مثلما فعل ليونارد كوهين، مغن وكاتب أغاني وموسيقي وشاعر وروائي كندي، حين وصف كتابة الشعر بأنها: «عملية ساحرة تنطوي على قدر كبير من المثابرة، وشيء آخر غامض يحرّكك لفعل ذلك، قد يكون هذا الشيء هو الشغف، ولا شك أن التعامل مع الشغف من الأمور الصعبة، ولكنني سأحاول أن أستعين بالعزيمة للنجاح في ذلك».

عندما سُئل ليونارد كوهين عن سيرته الإبداعية، أشار إلى عدم رغبته بالخوض في تفاصيل كثيرة، ولكنه قال: «هذه أشبه بآلية مقدسة، وعليك أن تكون حذرًا في تحليلها كما لو كنت ستتوقف عن الكتابة مطلقًا».

قد يعتمد راتبك على أداء طلابك في التقييمات الموحدة، أو ربما لا يكون لديك حتى المواد اللازمة لتعليم المحتوى الخاص بك، ولكن أيًا كانت حالتك وحالة طلابك، فكل ما عليك أن تعمل على صقل الشغف وتعزيزه.

هل أنهكتك الأعمال الورقية ومسؤوليتك عن طلاب وعدم التقدير وغيرها من الأمور التي تعكر صفو عملك؟ بالطبع تسأل نفسك في بعض الأحيان متى سينتهي ذلك، وهل ما أفعله يستحق العناء؟ كل هذه الأسئلة تشغل أفكارك، ولكن الطريق الوحيد لتبدأ من جديد هو صقل الشغف وتعزيزه لدى طلابك.

كريس هادفيلد، رائد الفضاء الكندي، الذي يعد من النجوم الإعلامية والنشطاء البارزين، قدم نصيحة إلى الشباب بعد تقاعده، حين قال «كل قرار تتخذه سواء كان يتعلق بتناولك للطعام أو قضاء الوقت ليلاً، يجب أن ينبع من داخلك، ولا تدع الحياة تحولك إلى شخص لا تريده».

شجع هادفيلد متابعيه أن يقصدوا اختياراتهم، وأن يسعوا إلى ما يقربهم من أحلامهم. كما أدرك أننا نستطيع أن نقرر من الذي نريد أن نكونه، ومن المسؤول عن ذلك؟ وتنبع توجيهات هادفيلد من الاهتمامات الشخصية والشغف، وهذا هو ما يحدث الفارق. أعتقد أنه يمكننا فعل نفس الشيء في الفصول الدراسية، ومن خلال تعزيز الشغف لدى طلابنا، يمكننا إضفاء قدر من المرح والاستمرار في مهمتنا لتربيتهم ليكونوا أشخاصًا مسؤولين ويتحلون بالعزم.

تشكيل العزيمة في المنزل

من المهم الاتفاق أن الأبوة والأمومة هما الأفضل والأصعب في العالم، فالأمر أشبه بشعور متأرجح، فقد تستيقظ في بعض الأيام وتحضّر الشوفان وتقبّل أطفالك على رؤوسهم بينما تتوجَّه إلى العمل ومن داخلك تشعر أنك تستحق جائزة الأب المثالي/ أو الأم المثالية. وفي أيام أخرى، تشعر وكأنك لا تفعل ما يكفي، وأن ما تقوم به وإن كان كثيرًا فليس بالصرامة المطلوبة.

ومن الأمور الجيدة أن العزيمة يمكن تطويرها من الناحية الاستراتيجية بفعل الاستجابات الصحيحة أو الفاشلة. والطريقة الأكثر فاعلية للقيام بذلك تتمثل في دمج جهود المدرسة والمنزل.

كيف يعي أولياء أمور الطلاب أهمية تطوير مهارات العزيمة لدى أبنائهم، حتى وإن لم يساعدهم المعلمون في ذلك دائمًا؟

لأولياء الأمور تأثير كبير على نمو الأطفال أكثر من أي عامل آخر. بالتأكيد، أنت كمعلم شخص أساسي في حياة الطلاب، ولكنك في معظم الحالات تأتي بعد الوالدين من حيث التأثير.

تشكيل ثقافة مدرسية قائمة على العزيمة:

يجعلنا حب التعليم الشديد، نسعى دائمًا إلى التطوير المهني، ونحب قيادة وحضور العروض، كما نستمتع بالعمل مع المعلمين لتطوير المناهج واستكشاف استراتيجيات التدريس المبتكرة، لكن مع هذا قد لا تروقنا على الإطلاق أنشطة بناء فرق العمل التقليدية. قد لا يريد البعض عرض مسرحية هزلية لتقديم تعليقات بنّاءة، ولا يرغب في التصفيق لتعزيز بيئة الفصل الدراسي، وإن كانت تلك الأشياء قيمة وفعالة، ولذا ينبغي تنبيههم إلى ممارستها، فالمعلمون لديهم مجموعة متنوعة من أساليب التعلم، تمامًا مثل الطلاب، وعلى الرغم من أن التلاميذ مطالبون دائمًا بالتعلم من أخطائهم، فكذلك أعضاء هيئة التدريس يحتاجون إلى التشجيع على تحمل المخاطر والفشل والقدرة على التعافي.

يعد تحويل أفكار الالتزام والمرونة والشغف إلى أساليب عملية، جزءًا من ثقافة المدرسة بأكملها. أين تذهب عندما تريد التدرب والحصول على الإلهام؟ لا تذهب إلى صالة الألعاب الرياضية أو مؤتمر المعلمين ليس لأن ذلك غير ملائم، بل لأنك تريد أن تحيط نفسك بأشخاص متشابهين.

يهمك الأمر تمامًا مثلما يهم طلابك. إذا كنت تريد تحلّيهم بالشجاعة، فعليك تشكيل ثقافة مدرسية تولّد الشغف والمثابرة.

بل وأكثر من ذلك، إلى أين تذهب عندما تدرك أنك لم تحقق أهدافك؟ حسنًا، إذا كنت تريد أن تشعر بتحسن حيال نفسك، فمن المحتمل أن تصل إلى شخص سيريحك ويذكرك بأنك رائع تمامًا كما أنت. إذا كنت ترغب في التغلب على مثل هذه العقبات والاستمرار في التقدم، فانتقل إلى شخص آخر له أهداف مماثلة لك. عندما يبدأ أحدنا في الشعور بمعاناة صحية من أي صعوبات، أتوجَّه إلى أصدقائي الذين سيطلبون مني تناول الطعام الصحي والنظافة الشخصية.

يقضي المعلمون وقتًا طويلًا في تطوير المناهج الدراسية وكتابة خطط الحصص الدراسية، ولكن يجب التفكير في مقدار الوقت المستغرق في تقييم هذه الخطط. حسنًا، إذا كان التوقع هو غرس مهارات العزيمة في الحصص الدراسية، فإن ذلك يجب أن يكون موضوعًا للمناقشة، حيث يتم الاجتماع مع مدرسي الرياضيات، يتم نقل المعاملات ومناقشة مخاوف الطلاب، ومراجعة الحصص الأسبوعية.

أساليب التربية التي يمارسها الآباء:

هناك ثلاثة أساليب للتربية التي ينتهجها الآباء مقبولة على نطاق واسع لدى علماء النفس التنموي:

التساهلية: بالإشارة إلى نمط التربية التساهلية ستجد أن الوالد ليس له أي سلطة على حياة الطفل، وقد يتخذ ذلك أشكالاً مختلفة اعتمادًا على ديناميكية الأسرة، حيث يمكن لأحد الوالدين أن يتشاور مع الطفل فيما يتعلق بالتوقعات والقواعد، ويكاد يتعامل مع هذه العلاقة كما لو كانت شراكة، بينما الآخر لن يكون منخرطًا في حياة الطفل، وبشكل افتراضي يسمح للطفل باتخاذ قراراته الخاصة. فالآباء الذين يتبعون هذا الأسلوب يعلمون أن أطفالهم يحبونه، وبخاصة الأبناء في مرحلة المراهقة. ومن السهل أن يكتشف المعلم ذلك النموذج من الأبناء الذين تربّوا تربية تساهلية؛ فإنهم لا يتبعون القواعد ولا يحترمون أقرانهم، وعندما يواجهون تحديات يستسلمون. وقد يواجهون أيضًا صعوبة في الاحتفاظ بالأصدقاء بسبب هذه السلوكيات، وبالطبع هناك استثناءات، ولكن في العادة الأطفال الذين لديهم آباء متساهلون لن يتحلوا بالعزم عندما يكبرون.

الاستبدادية: نمط التربية الاستبدادية في جوهره على العكس من نمط التربية التساهلية، حيث يمارس الآباء السلطة المطلقة ويؤمنون حقًا أن الطاعة فضيلة. يعدُّ النظام من الجوانب المهمة للأسرة، والقواعد والتوقعات غير قابلة للتفاوض. يعاقب الطفل إذا لم يتم اتباع القواعد، وعلى الرغم من أن الأطفال الذين تتم تربيتهم بهذا الأسلوب غالبًا ما يؤدون أداءً جيدًا في المدرسة، فإنهم قد يكبرون في جو من القلق والتوتر والشعور بالأسى، ولا يستطيعون التعامل مع الإحباط، ولكن من المهم تذكر أن العزيمة تنتج من الظروف التي تستحث الطلاب على المثابرة لمواجهة التحديات. والطفل الذي ينشئ في ظل تربية أب استبدادي لن يحصل على هذه الفرص واكتساب مهارات العزيمة.

التربية الموثوقة: الأطفال الذين يخضعون لتربية موثوقة عبارة عن نماذج اجتماعية مليئة بالثقة والقدرة على مواجهة التحديات، فهذا الأسلوب في التربية له تأثير أكثر إيجابية على نمو الطفل، فالتربية الموثوقة تعد نمطًا وسيطًا بين التساهلية والاستبدادية، ففي هذا النمط من التربية يضع الآباء القواعد ويحددون التوقعات ويستخدمون الأسباب لشرح القرارات التي يتخذونها، ويتطلب أن تكون أبًا لطفل يتحلى بالعزيمة حين توازن بين هذه المعلومات بما يسمح لك بمعرفة كيفية الاستجابة، سواء كنت في خضم الكفاح أو ترغب في الاستسلام.

نبذة عن المؤلف

الدكتورة ليلي سانجراس بدأت كمعلّمة، ثم قررت استكمال دراستها فحصلت على الدكتوراه في علم النفس التربوي من جامعة نورث تكساس.
وبفضل عملها كمعلمة أصبحت خبيرة في التواصل مع الآباء، وفي طرق استيعاب الكتابة وتخطيط الرحلات الميدانية، إضافة إلى إلمامها بفنون اللغة.
جاء اهتمامها باستخدام العزيمة كمهارة اجتماعية نتيجة لما لاحظته من فشل طلابها في التعامل مع الأنشطة الصعبة بالمدرسة، رغم كفاحهم في الأنشطة خارج المدرسة. وقد أمضت ليالي عدة في البحث عن أساليب للوصول إلى طلابها.

العزيمة واهتمام المعلمين:

لقد عرفنا دائمًا وأبدًا أن العمل الشاق هو مكون أساسي للنجاح، ومع مرور الوقت، كان تركيز المدارس يتأرجح بين تنمية الشغف وصقل العزيمة.

لقد استحوذت العزيمة على اهتمام المعلمين، وبخاصة أنها تنطوي على حاجتنا للحفاظ على السعادة في التعلم مع الحفاظ على مستويات عالية، ولكنك حين تكون شغوفًا ومهتمًّا بالعزيمة قد تكون منعزلًا إذا اعتقدت أن الجميع مثلك في التركيز على العزيمة.

وإذا أردنا تحسين عزيمة الطفل أو المرونة أو التحكم الذاتي، فلا يقتضي الأمر أن نبدأ مع الطفل نفسه، فكل ما نحتاج إلى تغييره أولًا، بيئته.

وقدم بول توف، الكاتب الأمريكي من أصل كندي، في إحدى مقالاته اثنتين من الأفكار المهمة، حيث سلط الضوء على المشكلة المتعلقة بتدريس مهارة نفسية اجتماعية بنفس الطريقة التي نعلّم بها المحتوى الأكاديمي، وأغلب الظن أنه محقٌّ في ذلك، فلا يمكنك الجلوس مع الطلاب لتحدثهم عن العزيمة وتتوقع منهم أن يعودوا إليك متبنين لمفاهيمها.

هذه النقطة الأولى تؤدي إلى النقطة الثانية التي أوردها بول توف، وهي أهمية البيئة في تطوير المهارات الاجتماعية مثل العزيمة، وأشار توف إلى «البيئة» في مقالته، على الرغم من أن «الثقافة» هي المقصودة، فقد تعكس الثقافة بدقة أكبر نموذجًا يمكّن من غرس العزيمة لدى الطلاب لأن الثقافة أكثر من مجرد مكان مادي. ويشمل ذلك الإدارة وأولياء الأمور والمعلمين والطلاب، علاوة على ذلك عند وضع تصور لثقافة نفكر في بنائها داخليًا، فسيحدث ذلك عن طريق عملية نشطة تشمل جميع أصحاب المصلحة وليس مجرد شيء خارجي، وفي هذه الحالة، نبدأ بالطفل نفسه.

وقد تكون أبحاث العزيمة قد وقعت ضحية لمغالطات التنميط، إذ إن العزيمة تقاس بوصفها إعادة تحديد للوعي أو نقاء الضمير أو أي من جوانبه. ونقاء الضمير من السمات الشخصية الأساسية، ويعد أكثر السمات التي تساعدنا على التنبؤ فيما يتعلق بالنجاح الأكاديمي والوظيفي. والشخص الذي يملك درجة عالية من الوعي أو نقاء الضمير هو الشخص المسؤول والمنظم ولديه درجة معقولة من درجات ضبط النفس. يبدو مثل مفهوم العزيمة، أليس كذلك؟ حقًا هذا صحيح، ولكن كما تدرك على الأرجح، فإن الوعي أو نقاء الضمير لا ينطوي على جميع الخصال والشروط التي تحقق العزم. ماذا عن الشغف؟ الشعور العاطفي الذي يدفع الشخص إلى المثابرة من خلال التحديات الشديدة؟ وعلى الرغم من أن بعض الفرق البحثية قد أشارت إلى أن العزيمة ترتبط بأحد مكونات الضمير، فمن المهم ألا نغفل الطبيعة المميزة للعزيمة.

ومن الملفت أيضًا مقال تود كاشدان، العالم وأستاذ علم النفس في جامعة جورج ماسون، في هذا الموضوع، لا سيما حينما ذكر أننا سنكون في ورطة كبيرة إذا أغفلنا إنسانية التدريس وأودعنا تركيزنا فقط على الصرامة والجهد الشديد، إذ مع هذا الأسلوب يتحوَّل تلاميذنا، وبخاصة أولئك الذين قد يكونون غير مميزين، إلى ضحايا لا يحظون بأي دعم لاحتياجاتهم النفسية. وعند السعي إلى التميز، من الطبيعي أن تشعر بالشك الذاتي، والتوتر، والإرهاق، والقلق، ومجموعة كبيرة من المشاعر المعقدة الأخرى؛ لذا إذا كنت ملتزمًا بتشكيل ثقافة العزيمة، فعليك أن تكون ملتزمًا على قدم المساواة بتوفير الدعم الاجتماعي الذي يحتاج إليه الطلاب، وهذا ما يعنيه أن يكون تفكيرك شاملًا.

أنت تعرف كمعلم أهمية تشكيل ثقافة مدرسية قائمة على العزيمة، لبناء قدرات مؤسسة بكامل أفرادها، وتوفير البيئة المناسبة ليدعم بعضهم بعضًا في إطار سعيهم للتميز. أنت تفهم كيف تتوافق العزيمة مع فهمك للعقلية وطرق التفكير وتوجهات التعلم.

لديك أفكار عملية لتعزيز الفضول لدى الأطفال، ويمكن دمجها في المناهج الدراسية ولكن الأهم هو الانتقال إلى مرحلة التطبيق العملي لهذه الأفكار، مما يحقق مصلحة الطلاب.

الخلاصة

ثقافة العزيمة ليست الحل للمشكلات التي قد تواجهها في الفصل الدراسي؛ إنها طريقة واحدة لتصوُّر الجهد والمهارة اللازمة لتحقيق مستويات عالية، ويمكننا إدراك العزيمة من العثور على السياق الذي نحتاج إليه لفهم سبب أهمية دمج كل من الصرامة والشغف في المناهج الدراسية، وأرى أن معرفة ما تعرفه الآن عن الآثار المترتبة على الجهد المستمر، ستمكنك من البدء في التفكير في كيفية توفير فرص منتظمة لطلابك للتغلب على المشاكل.

مؤسسة حمدان بن راشد آل مكتوم
لـلأداء التـعليـمي المتـمـيـز
Hamdan Bin Rashid Al Maktoum Foundation
for Distinguished Academic Performance

رقم الهاتف: +971 45013333
صندوق البريد: 88088
رقم الفاكس: +971 45013300
البريد الإلكتروني: info@ha.ae